عذوبة نمط الحياة المسيحية
(أفسس ٤: ١٧-٣٢)

تأليف: جون ل. كاخلمان

قُدِم في سنة ١٩٨٤ برنامج تلفازي {في الولايات المتحدة} بعنوان «Lifestyles of the Rich and Famous» أي «أنماط حياة الأغنياء والمشاهير»، وما زالت فكرة الحديث عن حياة الناس تتمتع بشعبية. عندما كنتُ أُقيم بأوربا، شاهدتُ برنامجاً تلفازياً مشابهاً لذلك ذات مرة تم إنتاجه في روسيا. يبدو أن الناس في كل مكان يرغبون في معرفة الكيفية التي يعيش بها الآخرون. بحب الاستطلاع البشري، نشاهد بتلهف ونراقب الكطريقة التي يلبس بها الآخرون، وكيف يتصرفون في حياتهم اليومية.

نمط الحياة المسيحية هام جداً لأن الناس يشاهدون الطريقة التي يعيش بها أعضاء الكنيسة (متى ٥: ١٣-١٦؛ ١ بطرس ٢: ١١ و١٢). لأتباع المسيحية المسؤلية لأن يعيشوا بحيث يدرك الآخرون التباين بين المسيحي وغير المسيحي. فسر أحد المبشرين هذه المسؤلية بقوله أن حياة المسيحي العادي (أي الطريقة التي «يسير» بها من يوم إلى يوم) هي الطريقة الوحيدة التي يعرف بها البعض الإنجيل. ذكر بولس المسيحيين في كونثوس بانهم رسائل يقرأها الجميع (٢ كورنثوس ٣: ١ و٢). هذه نظرة واقعية. عندما ينظر الناس إلى نمط حياتك، ماذا يرون؟ عندما يراقب آخرون سلوكك وكلامك ولبسك وتعاملاتك بالاعمال العادية، ماذا «يقرؤون» منها؟

توضح قصيدة بعنوان «موعظات نراها» أهمية نمط حياة وسلوك المسيحي. تتحدث هذه الكلمات عن نمط حياة الإهتداء الذي تحدث عنه بولس في الرسالة إلى أهل أفسس ٤: ١٧-٣٢. اقرأه بتمعن وانتبه إلى رسالته القوية:

أُفضِل أن أرى موعظة من أن أستمع إليها في أي يوم؛
أفضل أن يسير معي الشخص من أن يخبرني عن الطريق فقط.
العين تلميذ أفضل وأكثر استعداداً من الأذن،
المشورة الحسنة محيرة، ولكن المثال واضح دائماً؛
وأفضل جميع المبشرين هم الذين يعيشون تعاليمهم،
لأن رؤية الصلاح موضع التنفيذ هي ما يحتاج إليها الجميع.

قد أتعلم سريعاً كيف أعمل إن سمحت لي أن أرى كيف يتم عمله؛
قد أرى يديك في العمل، ولكن لسانك سريعة جداً.
والمحاضرة التي ألقيتها قد تكون حكيمة وصحيحة،
ولكني أُفضِل أن أتلقى دروسي بمراقبة ما تعمل؛
لأنني قد أُسيء فهمك والمشورة القيمة التي تقدمها،
ولكن ليس هناك سوء الفهم في الكيفية التي تتصرف بها وتعيش بها[١].

تسلط الأسفار المقدسة الضوء على أهمية نفوذ الشخص (فيلبي ٢: ١٥؛ ١ تسالونيكي ١: ٧ و٨؛ ١ تيموثاوس ٦: ١). وُضِع التوكيد مرة أخرى الرسالة إلى أهل أفسس ٥: ٨ إلى ٦: ٩ على الضرورة أن يعيش الشخص حياة الإهتداء.

وُصِف في الرسالة إلى أهل أفسس ٤: ١٧-٣٢ نمط الحياة المسيحية بالتفصيل. يجب أن يكون هناك

[١] مقتبس من إدغر غيست في موعظة بعنوان «Sermons We See» من كتابه بعنوان «Masterpieces of Religious Verse»، صفحة ٣٦١.

تباين لا يمكن إنكاره بين الطريقة التي كان يعيش بها الشخص قبل ان يكون مسيحياً وبين حياته بعد ان أصبح مسيحياً. هذا النص مشجع لأن يبين أن المسيحيين يختلفون من العالم في كل ناحية من نواحي الحياة. يساعد كلام بولس هذا المسيحي الجديد ليدرك أنه مختلف حقاً من الآخرين الذين حوله. وهذا الفرق يأتي بفرح المسيحية. أنت كمسيحي جديد يجب أن يملأك الفرح لأنك قد إخترت نمط حياة التقوى الذي يأتي بمكافآت أبدية. لا يكون للشخص رضا أعظم من معرفة أنه يعيش كما يريد الله. وهذا الفرق الملحوظ في نمط الحياة المكرسة يأتي بفرح للمسيحي (تيطس ٢: ١١-١٤؛ ٣: ١-٨).

أنظر عن كثب في الوصف الموحى به لعذوبة نفوذ نمط الحياة المسيحية الوارد في الرسالة إلى أهل أفسس ٤: ١٧-٣٢. كونك مسيحياً، انك تأتي بعذوبة وفرح إلى عالم مليء بحزن وكآبة! لماذا يُعتبر نمط حياتك كالطيب الحلو الرائحة في العالم؟ تم الإجابة على هذا السؤال في هذا النص.

حياة التباينات (٤: ١٧-١٩)

أُستُخْدمت كلمة «يسلك» هنا مجازياً لوصف طريقة حياة الشخص. يتحدث كتاب الأمثال عن «المسلك» الذي يميز «البار» و«القويم» (٢: ٧، ١٣، ٢٠). عادة ما أُستُخدمت كلمة «يسلك» في الرسالة إلى أهل أفسس أيضاً لوصف سلوك الحياة (٤: ١، ١٧؛ ٥: ٢، ٨، ١٥). هناك مثل معاصر يقول: «لتكن سيرتك على قدم المساوة مع كلامك»[٢]. يوجد هذا القول المأثور في عدة لغات والمقصود به هو أن الكلام عن الروحيات يجب تطبيقه على الحياة. هذا هو التعليم الوارد في الآية ١٧. بما انك أصبحت مسيحياً، من الضروري جداً أن يعكس سيرتك كلامك. أي بعبارة أخرى، قد نقول «إن قلت انك مسيحياً، أظهر مسيحيتك بالطريقة التي تعيش بها!» من أطاع الإنجيل ملزم بان يكون مختلفاً من أي شخص آخر {لم يطع الإنجيل} لأنه خليقة جديدة» (٢ كورنثوس ٥: ١٧).

يعلن نمط الحياة المسيحية عدة تباينات حادة للعالم. ستكون مختلفاً في حياتك اليومية لأنك من أتباع المسيح وتقتدي بالله.

أولاً، تكون مختلفاً في الطريقة التي تفكر بها (الآية ١٧). يكون تفكير الشخص قبل الإهتداء عكس طريقة الحياة التي يوصي بها الله. يعتقد رجل العالم أن تفكيره صالح، ولكن الكتاب المقدس يقول أن التفكير الدنيوي «مميت» (فارغ وبلا قيمة). لماذا؟ لأن الذين من العالم لا يعتقدون انهم يحتاجون إلى وحي الله ليرشدهم. يقول التفكير الدنيوي انك إن وجدت ما تكفي من المتعة والممتلكات والسلطة أو الهيبة، ستكون سعيداً. عندما يسعى الشخص الدنيوي وراء مثل هذه المكافآت يهمل الله ويتجاهله ويرفضه! بما انك في المسيح الآن، لا ينبغي أن تفكر في ما بعد كما يفكر العالم. فان أفكارك وأعمالك وأهدافك قَيِّمَة لأنك تتبع الكتاب المقدس!

ثانياً، ستكون مختلفاً بما يختص بالكيفية التي تفهم بها (الآية ١٨). لأن معيار العالم للفهم غير صحيح، يكون الفهم الناتج من عملية التفكير مثل هذه غير صحيح! كلمة «فهم» هنا معناها «إدراك». الشخص الذي لم يهتدي لا يفهم كيف توجه كلمة الله، أي الكتاب المقدس خيارات نمط الحياة. لقد خرج المهتدي إلى المسيح من ظلمات الخطيئة إلى نور فهم الحق.

ثالثاً، ستكون مختلفاً في شركتك مع الله (الآية ١٨). قد يعترف الشخص غير المهتدي بوجود الله والرغبة في الصلاة إليه لأجل العون عندما تكون هناك مشكلة، ولكنه لا يحاول المحافظة على شركة معه. انه غريب منفصل عن الرب. في تباين مع هذا، الشخص المهتدي إلى المسيح مولود في عائلة الله ويمكنه أن ينادي الله بثقة بانه «الآب» (٢: ١٨). يكون المهتدي الجديد حريص بان «يسلك في النور» حتى أن علاقته مع الله لا يعيقها شيء (١ يوحنا ١: ٦-١٠).

رابعاً، تكون مختلفاً في معرفتك (الآية ١٨). الشخص غير المهتدي لا يعرف الله ولا يريد أن يعرف الله. العالم مميز بالـ«جهل». الذين لم يخضعوا للمسيح هم مثل شعب إسرائيل الذين وصفهم إشعياء

---

[٢] هذا المثل مترجم من المثل الإنجيليزي: «Let your walk equal your talk».

النبي في العهد القديم: «اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ» (إشعياء ١: ٣). أما المسيحي، فقد أتى إلى معرفة الرب الإله (إشعياء ٣٧: ٢٠، وهذه المعرفة الجديدة عن الله توجه نمط حياته (فيلبي ٣: ١٠).

خامساً، ستكون مختلفاً في حساسياتك (ذيل الآية ١٨ والآية ١٩). يكون للشخص غير المهتدي قلب غليظ، واما المسيحي فقد نُخس في قلبه/ وخز قلبه (أعمال ٢: ٣٦-٣٨). الذين يعيشون حسب العالم لا يهتمون كيف تؤذي أنانيتهم الآخرين، ولكن المسيحي الذي يعيش كل يوم مهتماً بكيفة تأثير حياته على الآخرين. بينما ليس للذين من العالم أحاسيس لله، يكون المهتدي مهتماً جداً بالكيفية التي ستؤثر بها خياراته على سلوك الله نحوه. هناك فرق كبير بين حساسيات المسيحيين وغير المسيحيين. ما أجمل رؤية حياة الشخص الذي يكون اهتمامه الأكبر هو بالكيفية التي يرى بها الله خياراته في الحياة! انه يكون حريصاً حتى لا «يحزن» الله بالطريقة التي يعيش بها (تكوين ٦: ٦؛ أفسس ٤: ٣٠).

هذه خمسة تباينات بين نمط الحياة المسيحية وغير المسيحية. من يتبع المسيح يجد فرح لأنه اختار أفضليات الحياة بتلك الخيارات. سيكرم الرب الذين يختارون أن يعيشوا حسب الأولويات الإلهية (لوقا ١٠: ٤٢).

حياة الثبات على المبدأ (٤: ٢٠-٢٤)

ينبغي أن يكون نمط حياة المسيحي ثابت على المبدأ! لا بد أن يرشد نور الفهم كل خيار في كل يوم. عند نقطة الاهتداء إلى المسيحية يقرر الشخص أن يتوب ويرجع (أعمال ٣: ١٩). ينبغي العمل بهذا القرار على الدوام. «التوبة» ليست مجرد فعل واحد، بل عمل مستمر (١ يوحنا ١: ٦-٩). يعلم المسيحي الجديد كل يوم عن مشيئة الله، وبالتالي يأتي كل يوم بدرجة ما من التغيير.

يوصف التطور في نمط الحياة المسيحية بتغيير الملابس. يخلع المسيحي الجديد الأشياء القديمة ويلبس الأشياء الجديدة. التباين واضح مرة أخرى: لقد خلعت القديم ولبست الجديد. نرى ثلاث عبارات هامة في هذا النص، وهي: «أَنْ تَخْلَعُوا»، «وَتَلْبَسُوا»، «وَتَتَجَدَّدُوا» وهي أفعال المضارع في صيغة الأمر في اللغة اليونانية، وتشمل على عمل مكتمل. يقول الكتاب المقدس انه بعد ان يتم عمل الشيء لا يكون تكراره أمراً مطلوباً. ولكن الفعل «تَتَجَدَّدُوا» هو فعل المضارع في صيغة الأمر في اللغة اليونانية، مما يدل على استمرار العمل تدريجياً. تكشف هذه الأفعال المختلفة حقيقة هامة بالنسبة للمهتدي الجديد في المسيح. لقد «خلعت» و«لبست» عندما أصبحت مسيحياً. هذا يعني أن العمل قد أُكمل ولا يجب تكراره. لا يتم خلع الخطيئة في حياتك تدريجياً. لا يمكنك أن تتوب تدريجياً من حياة الخطيئة – بل عليك أن تكف حالاً! ولكن «إنسانك الجديد» ينمو تدريجياً في حياتك (الآية ٢٤). لا تصير حالاً كل ما يجب أن تكون. يأتي الإهتداء بالوقوف عن الخطيئة إرادياً وبداية التطور نحو الإيمان الناضج الذي يقود إلى القداسة!

هذا التطور يتطلب منك العمل بثبات! ينبغي أن تتعلم على الدوام، وتفهم، وتسلك في النور. ينبغي أن تتقدم بثبات نحو النضوج في الإيمان (فيلبي ٣: ١٣-١٦).

حياة التعهد (٤: ٢٥-٢٨)

التطبيق المستمر للحق الذي يتم تعليمه من كلمة الله الموحى بها يؤدي إلى تقديس المسيحي الجديد! لا يشعر بإرتياح في ما بعد مع السلوكيات وتعابير رفاقه عندما كان يعيش في الظلمة. يكون المسيحي مختلفاً تماماً عما كان عليه قبل إهتداءه. لم يعد يكذب، بل يكون الصدق أولوية في حياته. يتحكم في غضبه، ويجتهد لكي يحيا بحيث تأتي كل كلمة ينطق بها بفرح وتعزية. ولأنه في المسيح يتكلم الحق فقط ويجعل نواياه واضحة ومفهومة. ينبغي أن يكون معروفاً بصدق الكلمه. لا ينبغي أن يقول شيء، ويعمل العكس! لا ينبغي أن يستخدم مفردات خادعة يقصد بها شيء ما بينما يعني شيء آخر. لا ينبغي للمسيحي أن يكذب! عندما يقول كلمته يكون ملزماً بعمل ما قاله. الذين لا يمكن الوثوق بهم يظهرون بذلك انهم

ليسوا مسيحيين صادقين – وسيتحملون العواقب عند الدينونة (راجع رؤيا ٢١: ٨).

لن يخجل المسيحي الأمين أبداً بان الكلمة التي كان قد قالها أثبتت انها غير صحيحة، لأنه يعمل دائماً ما هو صحيح، ولأنه يعمل دائماً ما يقول. ولا يحجب أو يستر أو يخفي أي شيء. وبصفته كمن يقتدي بالمسيح هو ملزم بان يكون في حياته الخاصة كما في العامة!

حياة العطف (٤: ٢٩-٣٢)

يعكس نمط حياة المسيحي سخاء الرحمة. وصف بولس استخدام احاديثنا كطريقة لإظهار الرحمة. ينبغي لمن يحاول إرضاء الله التأكد من أن حديثه لا يحزن «رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ». عندما لا يعمل الشخص بكلامه يظهر أن قلبه محكوم بالأكاذيب. والكلام القاسي يظهر أن القلب محكوم بالأنانية. واالكلام البذيء بظهرعدم التقوى. لا ينبغي أن تكون للمسيحي كلمة «رَدِيَّةٌ». لأن ذلك يكون عكس نمط الحياة المتوقع من إنسان مسيحي!

المهتدي الجديد تتحكم فيه الرحمة التي تؤدي إلى اللطف. وتكون النتيجة هي سلوك الغفران الذي يقلد سلوك الرب. بصفتك كمن يتبع الله هل أنت صادق في كلمتك؟ هل يستمع الناس إلى ما تقول ويعرفون أنك ستلتزم بما تقول؟ ما مدى صدق قولك؟ هل يأتي كلامك بالنعمة للسامعين؟ (راجع كولوسي ٤: ٦). أنت بصفك كمن كرس نفسه لله هل تظهر الرحمة في كلامك؟ هل تتكلم بإحساس نحو الآخرين الذين يحتاجون إلى تعزية؟

في عالمي الأعمال والسياسة يختار الناس أقوالهم ويصوغوا أحاديثهم بهدف الكسب المادي والجاه. لهذا لا يكون غريباً أن تُعطى وعود ثم تظهر بعد ذلك انها كانت أكاذيب. غالباً ما تكون المجاملات مزيفة. ينبغي على المسيحي أن يكون مختلفاً! يجب قول الحق بوضوح ومباشرة وبلطف!

أفكار ختامية

يضيف نمط حياتك المسيحية طعم التقوى الحلوة إلى العالم! أنت منارة ترشد النفوس إلى رسالة النعمة الثمينة والخلاص في إنجيل المسيح! غُسلت خطاياك عندما أطعت وصايا الله. لقد خلعت نمط حياة واحد ولبست نمط حياة جديدة مختلف اختلافاً جذرياً. عندما أصبحت مسيحياً (بطاعتك لوصية الله بالمعمودية لغفران الخطايا) بدأت عملية «تجديد» حياتك والاجتهاد نحو هدف الدعوة السامية في المسيح يسوع! لقد خُتِمْتَ «لِيَوْمِ الْفِدَاءِ» (٤: ٣٠)، وينبغي أن تعيش في القداسة!

الشعر التالي مناسب لختام هذا الدرس. تضع هذه الكلمات التوكيد على حقيقة أن حياة المسيحي مكرسة لله:

أنت تكتب إنجيلاً،
فصل في اليوم،
بالأعمال التي تعملها،
وبالكلام الذي تقوله.

اقرأوا يا ناس ما تكتبون،
سواء كان ذلك بعدم إيمان أو بحق؛
قولوا ما يعني الإنجيل
لكم

هل تعيش بطريقة مناسبة بحيث تساعد شخص ما في العالم ليأتي إلى معرفة الخلاص الموجود في المسيح يسوع؟

ما هي الصلاة؟

الصلاة هي الوقوف على رؤوس الأصابع ومد اليد إلى الله بالتمجيد والتوقير والشكر. والنظر بداخلنا لنطلب من أجل الوفاء بحاجاتنا. وهي أيضاً مد اليد إلى الناحية المقابلة إذ نلتمس نيابة عن الناس الآخرين. الصلاة هي واحدة من إمتيازات المسيحي العظيمة – وهي ضرورية إن كان علينا أن ننمو روحياً.

بقلم/ جاي لوكخارت

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠